حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ التَّارِيخِ الإِسلاميِّ والوسيط

٦

الهيئة المصرية العامة للكتاب

حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ التَّارِيخِ الإسلاميِّ والوسيط

مجلة سنوية محكمة تعني بالتاريخ الإسلامي والوسيط

يصدرها سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط

بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية

حقوق الطبع محفوظة

للهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب

١٨٧٥٠

الترقيم الدولي

١٤٤٠هـ/٢٠١٨م

قطعة ٤ بلوك ٧ ـ المنطقة التاسعة ـ شارع د. رؤوف عباس ـ مدينة نصر ـ القاهرة

تليفون : ٠١١٢٧٣٨٩١٢ ـ ٢٤٧٢٨٢٩٤ ـ ٢٤٧٢٨٢٩٦ ـ فاكس : ٢٤٧٢٨٢٩٨

Email: Seehist1995@yahoo.com

الهيئة المصرية العامة للكتاب

حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ
التَّاريخِ الإسلاميِّ والوسيط

تُصْدرها

الجمعية المصرية للدِّراسات التاريخية

المراسلات : الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيد

رئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

العدد السادس

القاهرة

٢٠١٨م

رئيس مجلس الإدارة أ. د/ أيمن فؤاد سيد

هيئة التحرير

رئيس التحرير أ. د/ حسين عبد الله مراد
مدير التحرير د/ محمد فوزي رحيل
المحررون : أ. د/ صلاح عاشور
أ. د/ عبير زكريا سليمان
د/ عبد الناصر عبد الحكم
أ.د/ نهلة أنيس مصطفى

الهيئة الاستشارية

أ.د/ إسحق تاوضروس عبيد
أ. د/ أيمن فؤاد سيد
أ.د/ حاتم عبد الرحمن الطحاوي
أ.د/ عفاف سيد صبرة
أ.د/ محمود إسماعيل عبد الرازق
أ.د/ يسري أحمد زيدان

الآراء الواردة بهذه المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ،
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الجمعية أو السمنار أو الناشر

شروط النشر

ـ أن يكون الباحث عضوًا في الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .

ـ أن يتسم البحث بالأصالة المنهجية العلمية ، والجدة في الموضوع .

ـ أن يكون البحث صحيح اللغة سلس الأسلوب واضح الدلالة .

ـ ألا يكون قد سبق نشره ، أو قُدِّمَ للنشر إلى جهة أخرى ، وألا يكون مستلًّا من رسالة علمية .

ـ ألا تزيد صفحات البحث عن ٣٠ ورقة .

ـ أن يكتب المتن بخط Simplified Arabic بنط ١٤ ، والعنوان الرئيس بنط ١٨ Black ، والعناوين الجانبية بنط ١٤ Black .

ـ الحواشي:

= الحواشي العربية بنط ١٢ Simplified Arabic حسب النظام المعمول به في هذا العدد .

= الحواشي اللاتينية بنط ١٠ Times New Roman حسب النظام المعمول به في هذا العدد .

ـ أن تذكر المعلومات الببلوجرافية للمصادر والمراجع كاملة عند أول ذكر لها في الحواشي ، استغناءً عن قائمة المصادر والمراجع .

ـ يسلم عدد ٢ نسخة ورقية من البحث لمقر الجمعية بمدينة نصر خلف مدرسة المنهل ، وترسل نسخة إلكترونية لمدير التحرير الدكتور/ محمد فوزي رحيل على البريد الإلكتروني raheela2010@gmail.com

ـ تحكيم البحوث يكون سِرِّيًا ، بمعرفة هيئة تحرير المجلة .

كلمة التحرير

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه . يسعد هيئة تحرير حولية سمنار ، التاريخ الإسلامي التي يصدرها سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية أن تقدم للقراء الكرام العدد السادس ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م من الحولية ، وهي الحولية التي أسسها الراحل المؤرخ الجليل الأستاذ الدكتور علي السيد علي ـ رحمه الله ـ عام ٢٠١١م . ويضم هذا العدد بين دفتيه أحد عشر بحثًا ، تطوف بنا عبر فرعَي التاريخ الإسلامي والوسيط؛ إذ يلحظ المطالع لبحوث العدد تنوع الدراسات المقدمة بين فرعَي التخصص ، كتبها مجموعة من الباحثين المجيدين من مختلف الجامعات المصرية ، وافتتح العدد بمقال حول العطاء العلمي لمؤسس السمنار أ .د/ علي السيد علي ـ طيب الله ثراه ـ بعنوان «علي السيد رائد دراسات الحرم القدسي الشريف» ، وبدءًا من هذا العدد تنوى أسرة التحرير افتتاح الأعداد القادمة بمقال حول سيرة أحد رواد تخصص التاريخ الإسلامي والوسيط الراحلين أملًا في حفظ سير هؤلاء الأعلام حتى تكون قدوة ونبراسًا لأجيال قادمة من المؤرخين .

وترحب أسرة السمنار بالمتخصصين في التاريخ الإسلامي والوسيط للمشاركة في جلسات السمنار الشهرية ، بإلقاء بحوثهم بشرط الأصالة المنهجية وجدة الموضوع ، ومن يرغب في نشر بحثه في الحولية سوف يقدم للتحكيم السري بمعرفة هيئة التحرير ، وما يجاز منها ينشر في الأعداد التالية إن شاء الله . كما يرحب السمنار بجميع المتخصصين والمهتمين بمختلف فروع التاريخ لحضور الجلسات لإثرائها بالنقاش المُثمر .

ويطيب لأسرة التحرير تقديم أسمى آيات الشكر والتقدير لمجلس إدارة الجمعية برئاسة المؤرخ الجليل والمحقق الكبير الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيد ؛ لجهودهم الدؤوبة لازدهار الجمعية المصرية للدراسات التاريخية لتظل في صدارة الجمعيات التاريخية العربية .

والله من وراء القصد والهادي إلى سواء السبيل،،،،،،

أسرة التحرير

المحتـويات

الصفحة

على السيد علي رائد دراساتُ الحرمِ القدسيِّ الشريف
محمد فوزي رحيل ١١-١٦

أسرةُ ثيوفلاكت ودورُها السياسيُّ والدينيُّ في روما
محمد زايد عبد الله ١٧-٥٠

مكتباتُ الأديرة في ضوْءِ التيبيكا البيزنطيةِ
نعيمة محمد إبراهيم ٥١-٨٦

سفاراتُ العلماءِ في العصرينِ الغزنويِّ والسلجوقيِّ
مرفت رضا ٨٧-١٣٠

الوشايةُ وأثرُها في البلاطين المرابطيِّ والموحديِّ
أحمد إبراهيم رفاعي ١٣١-١٤٨

دولةُ الخطَا في الصينِ وتركستانَ وكرمانَ
عبد الناصر إبراهيم عبد الحكم ١٤٩-١٨٢

ادعاءُ النبوةِ في مصر والشامِ عصر سلاطينِ المماليكِ
محمود عبد المقصود ثابت ١٨٣-٢١٨

الكلابزيةُ في عصرِ سلاطينِ المماليكِ
أحمد عبد الله أحمد ٢١٩-٢٤٤

قراءةُ الجوقِ وقراؤها في مصَر خلال القرنينِ ٨-٩هـ
محمد جمال حامد الشوربجي ٢٤٥-٢٦٨

المجددونَ والتاريخُ الإسلاميِّ (الإمام محمد عبده نموذجًا)
حسام عبد الظاهر ٢٦٩-٣٠٢

صورةُ صلاحِ الدينِ في السينما الغربيةِ بينَ الحقيقةِ والخيالِ
فتحي عبد العزيز محمد ٣٠٣-٣٢٣

مكتبات الأديرة في ضوء التيبيكا البيزنطية
(وثائق تنظيمات الأديرة)
من القرن السابع الميلادي إلى القرن الرابع عشر الميلادي

نعيمة محمد إبراهيم

التيبيكا Tipika البيزنطية، هي وثائق تتضمن القواعد واللوائح المنظمة للحياة داخل الأديرة البيزنطية، وتحتوي على معلومات مهمة عن طبيعة حياة الرهبان داخل الدير وكيفية سيرها، وكذلك النظم الإدارية والطقوس الدينية داخل الأديرة البيزنطية، بالإضافة إلى بعض المعلومات عن الممتلكات الديرية والدور الخيري للدير، وكذلك القراءة وأهميتها وقوائم بالكتب الموجودة داخل المكتبة الديرية[١].

وقد بدأ الاهتمام بجمع وثائق الأديرة البيزنطية وترجمتها في فترة مبكرة من القرن السابع عشر الميلادي، ثم تبنت مؤسسة الدومبارتون أوكس Dumbrton Oaks Center بالولايات المتحدة الأمريكية ترجمة هذه الوثائق، وقد احتوت على ٦١ وثيقة، قام بترجمتها عدد من المتخصصين في اللغة اليونانية البيزنطية، وقامت المؤسسة بنشرها سنة ٢٠٠٠م في ٢٠١٢ صفحة[٢].

---

(1) ODB, 3, p.2132.

(2) THOMAS, J. and. HERO, A.C., (eds). *Byzantine Monastic Foundation Documents, A Complete Translation of the Surviving Founders Typika*, washington D.C. 2000, pp.1-13.

وقد قمت باختيار هذا الموضوع ، وهو : (مكتبات الأديرة في ضوء التيبيكا البيزنطية ـ وثائق تنظيمات الأديرة)؛ نظرًا لما كانت تمثلة المكتبة (خزانة الكتب) ومكونها الأساسي وهو الكتاب ، وكذلك القراءة من دور مهم وأساسي في حياة الرهبان داخل الدير ، فضلًا عما لعبه المنسخ (حجرة النسخ) من دور أساسى لتوفير حاجة المكتبة الديرية من الكتب؛ حيث عكف الرهبان على نسخ الكتب والمخطوطات ، وأسهموا في حفظ التراث الكلاسيكي (اليوناني والروماني) ، وكتابات آباء الكنيسة وحمايتها من الضياع فى فترات الاضطرابات ، وهي النصوص التي أرسلت إلى غرب أوربا في فترة لاحقة ، وأسهمت في النهضة الأوربية الحديثة[١].

ومن هنا أخذت في قراءة التيبيكا الديرية وجمع المعلومات المتناثرة بين صفحاتها والتى تتعلق بموضوع الدراسة والتى تراوحت بين إشارات ضئيلة لا تتعدى سطرًا أو سطرين ، وبين قوائم جرد للكتب الموجودة في مكتبات بعض الأديرة ، وقمت بعرض هذه البيانات وتحليلها والمقارنة بينها وربطها ، لإبراز الدور المهم الذي لعبته المكتبات الديرية في الحياة الثقافية البيزنطية.

أهمية القراءة ووجود المكتبة بالدير

لقد بدأت المكتبات الديرية منذ بداية ظهور الرهبنة الجماعية المنظمة على يد القديس باخوم (٢٩١ـ٣٤٨م) الذي حث الرهبان على القراءة اليومية وذكر أنه : «من لا يستطيع القراءة من الكتب عليه التعلم ليتمكن من ذلك». وكانت القراءة في البداية تتم من الكتاب المقدس وأعمال آباء الكنيسة؛ حيث كانت توضع الكتب والمخطوطات في صناديق خاصة داخل أسوار الدير[٢]؛ إذ كان الكتاب هو

---

(1) PADOVER. S.K., «Byzantine Libraries», in: *The Medieval Library*, ed. Thompson, J.W., New York, London 1967, p.311.

(2) HERMAN, A. Peterson, «The Genesis of Monastic Libraries», L & CR vol. 45, No. 3 (2010), p.328

الصديق الوفي للرهبان منذ الفترة المبكرة للحياة الديرية، وذلك لتدعيمهم ومساندتهم في عزلتهم، ولإشباع نهمهم وشغفهم الروحي العميق، وإمدادهم بالنصوص اللازمة للصلاة وأداء الطقوس، ومن هنا كان لابد من ضرورة وجود مكتبة بداخل كل دير[١].

وقد ذكر أحد الرهبان أهمية وجود المكتبة بالدير قائلًا: «إن الدير بدون مكتبة مثل القلعة بدون أسلحة، فمكتبتنا هي مخزن أسلحتنا، فيها تحفظ كلمات القانون الإلهي؛ مثل الحراب القاتلة التي نهاجم بها الأعداء، منها نستمد سلاح الحق، وخوذة الخلاص، ودرع الإيمان، وسيف الروح الذي هو كلمه الله»[٢].

وقد حددت وثائق التيبيكا البيزنطية أوقات وعدد مرات القراءة داخل الدير، فذكرت تيبيكا دير نيلوس داماليس Neilos Damilas[٣] ضرورة أن تكون القراءة لأكثر من مرتين يوميًا، واعتبرتها عبادة مساوية للصلاة «فالصلاة والقراءة كالعينين» وأنه لو أمكن، يجب أن تكون القراءة المقدسة أكثر من الاجتماع لتأدية الصلاة[٤]؛ بل وأكد جميع واضعي التيبيكا البيزنطية علي فوائد القراءة؛ حيث

---

(1) STAIKOS, KONSTANTIOS, Sp., *The History of the Library in Western Civilization from Constantine The Great to Cardinal Bessarion Imperial*, Monastic, School and Private Libraries in The Byzantine World, Kotinos 2007, p.246.;

Charnis, Peter, «The Monks as an element», *DOP* vol. 25 (1971), p.80.

(٢) نقلًا عن: شعبان خليفة، الكتب والمكتبات في العصور الوسطى، القاهرة ـ الدار المصرية اللبنانية ١٩٧٧، ١: ٣٦٧.

(٣) نيلوس داماليس: راهب علي درجة كبيرة من الثقافة، عرف اللغة اللاتينية واليونانية واهتم بالمناظرات الدينية في عصره، وأقام دير للراهبات قرب بايونيا Baionaia في جزيرة كريت سنة ١٣٩٩م، وأكد نظامه الديري علي الحياة النسكية وتلاوة المزامير والقراءة اليومية. NEILOS DAMILAS, «Testament and Typikon of Neilos Damilas for The Convent of The Mother of God Pantanassa at Baionaia on Crete», Trans. Talbot, Alice-Mary, BMFD 54, p.1462, ODB, I, p.581.

(4) Neilos Damilas, p.1475.

ذكروا أن الإنسان: «لا يستطيع العيش بالخبز وحده»، وإنما لابد من القراءة المقدسة، فهي الغذاء الروحي للرهبان التي تنعش روحهم وتساعدهم علي التأمل، وتظهر لهم حقيقة الأشياء حولهم وتقوي عزائمهم، وتجعلهم قادرين علي التغلب علي الصعاب ومحاربة كل الشرور والعيش وفقًا لأوامر الرب ونواهيه، وعدم الاكتراث بكل ما هو دنيوي. وحث المؤسسون الديريون بصفة خاصة علي قراءة سير القديسين والقديسات؛ لأنها تشجع الرهبان علي أن يسلكوا طريقهم القويم في الحياة ويتبعوا خطاهم(١).

لقد كانت القراءة جزءًا لا يتجزأ من حياة الرهبان اليومية، وعملًا مصاحبًا لتأدية الطقوس والصلوات اليومية في الأيام العادية وأيام الصوم والأعياد؛ بل ونجد التيبيكا تحدد الأجزاء التي يجب ان تتم قراءتها في كل وقت من صلوات الصباح والمساء اليومية من المزامير، وسير القديسين وغيرها من الكتب الدينية، فلا تكاد تخلو لائحة من اللوائح الديرية من تحديد أوقات القراءة اليومية ومقدارها وعدد مراتها داخل الدير أثناء الطقس اليومي(٢).

لم تقتصر القراءة داخل الأديرة البيزنطية علي القراءة المصاحبة للصلاة وتأدية

---

(1) CHARSIANEITES, «Testament of patriarch Matthew I For The Monastery of Charsianites Dedicated to The Mother of God Nea Peribleptos», Trans, Talbot, Alice-Mary, BMFD, p.1658.; EVERGETIS, «Typikon of Timothy For The Monastry of The Mother of God Evergetis», Trans. Jordan, Robert, BMFD, pp.496-7; BEBAIA ELPIS, «Typikon of Theodora Synodene For The Convent of Mother of God Bebaia Elpis in Constantionple», Trans. Talbot, Alice-Mary, BMFD 57, pp.1515-1548; CAMERON, AVERIL, *The Byzantines*, London 2006, p.153.

(2) KARYES, «Typikon of Sabbas The Serbian For The Kellion of St. Sabbas at Karyes on Mount Athos», Trans. Dennis, George, BMFD, 44, pp.1334-1335; BLACK MOUNTAIN, «Regulations of Nikon of The Black Mountain, Trans, Allison, Robert», BMFD, 20, Washington 2000, p.390; STOUDIOS, «Rule of The Monastery of St. John Stoudios in Constantinople», Trans. Timothy, Miller, BMFD 4, Washington 2000, p.622.

الطقوس اليومية فقط؛ وإنما حُث الرهبان علي القراءة في أوقات فراغهم وعندما لا يكون لديهم عملٌ يقومون به ، فحددت التيبيكا ثلاث ساعات يومية قابلة للزيادة؛ خاصة في أيام الصيف عندما تكون ساعات النهار أطول؛ أما في ليالي الشتاء الطويلة الباردة فيجب أن يذهب الرهبان للورشة ، ويقوم بالقراءة من لا يرغب في العمل اليدوي ، وبعد الانتهاء يذهبون إلي صوامعهم[١].

بالإضافة للقراءة السابقة التي يقوم بها الرهبان أنفسهم؛ فقد كانوا يستمعون للقراءة من الكتب المقدسة في غرفة الطعام ، والتي ذكرت التيبيكا أهميتها ، وأكدت أن غرفة الطعام بدون كلمة الرب تصبح مثل «حظيرة الحيوانات»[٢] كذلك كانت الراهبات أثناء عملهن اليومي في دير كيشاريتموني Kecharitomene[٣] يستمعن للقراءة من الكتب المقدسة ، والتى كانت تحقق لهن السعادة الروحية ، وتخفف عنهن عناء العمل[٤].

ونظرًا لأهمية القراءة في حياة الرهبان؛ فقد وضعت التيبيكا نظامًا لها وقواعد لضبطها ولتحقيق الاستفادة القصوي منها ، وقامت بعقاب كل من يؤدي إلي تعطيلها وعدم تحقيقها للفائده المرجوه منها؛ فكانت القراءة تبدأ عادة بأن يقوم أمين المكتبة (حافظ الكتب) بقرع السندان الخشبي ، عندئذ يحتشد الرهبان في موقع

---

(1) BLACK MOUNTAIN, p.391; Ath. «Rule, Rule of Athanasios The Athonite For The Lavra Monastery», Trans. Dennis, Georg, BMFD, 11, Washington 2000, pp.221-223; Bebaia Elpis, pp.1515, 1542; PHILANTHROPRS, «Typikon of Irene Choumnaina Palaiologina For The Convent of Christ Philanthropos in Constantinople», Trans. Talbot, Alice-Mary, BMFD, 47, Washington 2000, p 1387; Stoudios, p.232.

(2) CHARSIANEITES, p.1658.

(٣) دير كيشماريتموني : أسس هذا الدير في القسطنطينية في فترة مبكرة من القرن الثاني عشر الميلادي بواسطة الإمبراطورة إيرين ديوكانيا زوجة الإمبراطور ألكسيوس الأول كومنين ، ويقع في الجزء الشمالي من العاصمة ويجاوره دير ذكوري أسسته الإمبراطورة أيضًا ويفصل بين الديرين سور.

(3) KECHARITOMENE, pp.685-6.

الكتب ويأخذ كل واحد منهم كتابا لقراءته ويظل معه حتي الغروب ، عندئذ يقوم أمين المكتبة مرة أخري بالقرع ، فيأتي جميع الرهبان ويعيدون الكتب التي كانت لديهم منذ الصباح[١].

أما عن نظام القراءة في غرفة الطعام فقد كانت تبدأ عادة بعد جلوس الرهبان بانتظام علي منضدة الطعام ، وكان يقوم بها أحد الرهبان الذي كان يتم اختياره بواسطة رئيس الدير أو المسؤول عن غرفة الطعام ، أو كان يؤديها قائد جوقة الإنشاد بالكنيسة ، وكان يراعى فيمن يقوم بهذه المهمة القدرة علي القراءة الصحيحة وضبط الألفاظ دون اخطاء نحوية ، بالإضافة إلي الصوت القوي الواضح[٢].

كذلك فرضت التيبيكا علي الرهبان أثناء القراءة في غرفة الطعام علي ضرورة الاستماع بـ(آذان صاغية) والتفكر والتدبر فيما يُقرأ عليهم مع مراعاة الالتزام بالهدوء وعدم المشاركة في محادثات تافهة وفي غير وقتها. وكان لا يسمح لأحد بالحديث إلا لرئيس الدير ، علي أن يكون الكلام على نحو قليل وعند الحاجة الملحة فقط ، فإذا حدث وسأله أحد الرهبان عن شيء فإنه يرد بجمل قصيرة ومقتضبة للغاية؛ أما اذا قام أحد الرهبان بالرد فإن ذلك يكون بصوت منخفض وعبارات مقتضبة ثم يصمت في الحال ، ولكن إذا حدث وأقدم أحد أفراد الجماعة الديرية على الثرثرة وإحداث ضوضاء ، عندئذ يتم تحذيره وحثه علي التزام الصمت ، فإذا تمادي في هذا السلوك يتم طرده فورًا من غرفة الطعام وحرمانه من تناول طعامه ، أو يعاقبه رئيس الدير بأية وسيلة يراها مناسبة؛ حتي لا

---

(1) STOUDIOS, p; Staikos, *The Historyof The library*, p.190.

(2) LIPS, «Typikon of Theodora Palaiologina For The Convent of Lips in Constantinople», Trans. Talbot, Alice-Mary, BMFD 39, Washington 2000, p.1274; KECHARITOMENE, pp.683, 685; BLACK MOUNTIAN, p.408; STOUDIOS, p270; New York 1999, p.33.

يعود مرة ثانية لهذا السلوك الشائن[١].

علاوة على ذلك قد ألزمت التيبيكا الرهبان عند القراءة في صوامعهم بضرورة الالتزام بالهدوء والسكينة والتدبر والتمعن في معاني ما يقومون بقراءاته من نصوص[٢]. فضلًا عن ذلك فقد عين مؤسسو الأديرة شخصًا يدعي (الموقظ) كانت مهمته تنبيه الرهبان أثناء القراءة ومراقبتهم، فكان يسير بهدوء وسط الجماعة الديرية في وقت القراءة المصاحبة للطقوس اليومية، ويقوم بإيقاظ من غلبة النعاس وحثه علي اليقظة والانتباه[٣].

كذلك شددت التيبيكا على ضرورة الاهتمام بالكتاب وعدم إهماله، ففرضت العقوبة علي كل راهب لا يهتم بالكتاب الذي قام باستعارته، أو أخذه بدون إذن أمين المكتبة، أو أخفاه تحت فراشه بدلًا من إرجاعه آخر اليوم، وكان يعاقب أمين المكتبة كذلك لو ترك الكتب مكدسة بعضها فوق بعض دون تنظيم أو أهمل تنظيفها بترك التراب عليها[٤]؛ بل ونجد ثيودور ميتوخيتس Theodore Metochites[٥] في خطاب له موجه لرهبان دير خورا

---

(1) BEBAIA ELPIS, p.1542; MACHAIRAS, «Rule of Neilos, Bishop of Tamasia, For The Monastery of The Mother of God of Machairas in Cyprus», Trans. Bandy, Anastasius, BMFD 34, Washington 2000, p 1142; Evergetis, pp.478-479; Kecharitomene, p.689.

(2) Bebaia Elpis.

(3) MACHAIRAS, p.1142; *Rule of Athanasios The Athonite*, p.225.

(4) STOUDIOS, ch 26; STAIKOS, *The History of The Library*, p.190.

(٥) ثيودور ميتوخيتس، هو الأديب ورجل الدولة، ابن جورج ميتوخيتس، تعلم ودرس في القسطنطينية وتولي أعلي المناصب، اذ أصبح الوزير والمستشار الأول للإمبراطور أندرونيقوس الثاني وتميز بالثقافة الواسعة وسعة المعلومات، اشتهر من مؤلفاته الكثيرة، خطبه وقصائده ومدائحه للقديسين، وأيضا أعماله في الفلك ومقتطفات من أرسطو، بالإضافة إلي مائة وعشرين مقالًا تجمع بين التاريخ والفلسفة. نيكول، دونالد. أ، معجم التراجم البيزنطية، ترجمه وتعليق/ حسن حبشي، القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٣م، ٢١٧-٢١٩.

Chora[١] يحثهم على المحافظة على الكتب الموجودة بمكتبة الدير والاهتمام بها وتنظيفها؛ حتى لا تتلف بالعتة والحشرات[٢]، كما ألزمت التيبيكا الإيكليزيارخ Ecclesiarch، وهو الشخص المسؤول عن الإشراف على الطقوس الدينية اليومية والموسمية للكنيسة الديرية[٣] بالاهتمام بالكتب الموجودة داخل الدير[٤].

مكان المكتبة داخل الدير

في البداية يجب أن نشير إلي أن كلمة مكتبة في الفترة محل الدراسة؛ لم يكن يقصد بها المعني الحديث لهذه الكلمة، وإنما استخدمت فى بادئ الأمر لتعني مجموعة الكتب الموجودة داخل أسوار الدير ثم صارت تُطلق علي المكان المحدد الذى توضع فيه هذه الكتب؛ كذلك كانت الكتب منتشرة داخل الدير في أكثر من مكان، فلم يكن للمكتبة مبني مستقل أو تصميم معماري مميز بها داخل

---

(١) دير خورا، يقع في المنطقة الشمالية الغربية من القسطنطينية، ويعود تاريخ تأسيسه للقرن السادس الميلادي، وكان مركز مقاومة للحركة اللأيقونية، وتم تجديده في القرن الحادي عشر الميلادي، ولكنه دمر أثناء الاحتلال اللاتيني للقسطنطينية، وبعد استرداد العاصمة سنة ١٢٦١م، تولي رجل الدولة والمثقف ثيودور ميتوخيتس مهمة تجديده بأمر من الإمبراطور أندرونيقوس الثاني باليولوجوس Andronicus Palaiologos (١٢٨٢-١٣٢٨م)، وأضاف أليه بعض المباني الجديدة وزين الكنيسة بالفسيفساء، واهتم بالمكتبة بصفة خاصة وزودها بالعديد من الكتب. لمزيد من التفاصيل: SEVCENKO, I., «Theodore Metochites, The Chora, and The Intellectual Trends of His Time» in: *The Kariye Djami*, ed. Underwood, Paul. A., Princeton 1975; *ODB*, I, pp.428-30.

(2) STAIKOS, *The History of The library*, p.427.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن هذا المنصب: عبد العزيز رمضان، المرأه والمجتمع في الإمبراطورية البيزنطية، القاهرة ٢٠٠٥م، ٢٣٦؛ سعاد محمود عبد الحميد، التنظيمات الديرية في بيزنطة من القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر الميلاديين، رسالة ماجستير غير منشورة ـ كلية الآداب ـ جامعة طنطا ٢٠١٠م، ١٩٥.

(4) CHRISTODOULOS, «Rule, Testament and Codicil of Christodoulos For The Monastery of St. John The Theologian on Patmos, Trans. Karlin-Hayter», Patricia, BMFD 24 Washington 2000, p.589.

الدير ، وربما كان يرجع ذلك إلي طبيعة الحياة الدينية المسيحية نفسها ، فبعد ظهور المسيحية وانتشارها وبناء الأديرة والانسحاب إليها؛ لم يرغب الرهبان في بناء مكتبات داخل أديرتهم تشبه تلك المكتبات الضخمة ذات الطراز المعماري اليوناني والروماني التي تذكرهم بعهود الوثنية البائدة[١]؛ كما أن نوع الكتب واستخدامها من قبل الرهبان قد حدد أماكن وجودها ، إذ ارتبطت الجماعة الديرية بالكتب بممارستين؛ وهما ، إقامة الصلوات والطقوس داخل الكنيسة ، واستخدمت فيها الأناجيل والكتب الشعرية والمدائح.... إلخ. وقد حفظ جزء منها في الكنيسة الرئيسية وغرفة المقدسات والمحراب في الحرم المقدس ، في حين أن سير القديسين وأعمال الرسل ونصوص البطاركة وغيرها من الكتب التي يستخدمها الرهبان؛ قد أصبحت وسائد لهم داخل صوامعهم[٢].

فضلًا عن ذلك كانت الحياة الديرية كتابًا مفتوحًا من المزامير والتلاوات والقراءات وتأدية الطقوس؛ حتى في أوقات العمل اليومية وأثناء تناول الطعام؛ كان لابد من القراءة ، وبناء على ذلك لم يكن الرهبان بحاجة إلى مبني معين ذي طراز خاص من البناء والفخامة والتزيين ينقطعون فيه للقراءة ويذكر هؤلاء المنقطعين للرب والعبادة بتفاهة العالم الدنيوي الذي تركوه خلفهم[٣].

هنا يجب أن نشير إلي أن عدم وجود كيان بنائي مستقل للمكتبة داخل الدير ليس مرجعه لنقص الأموال اللازمة لبناء مكتبة وتزينها فما كان ينفق من أموال في نسخ الكتب والمخطوطات وتزيينها ، مع التجليد الفخم وترصيعها بالأحجار الكريمة كان يتكلف أكثر من اعداد مكان وتزينه لوضع الكتب[٤]. ولكن يرجع

---

(1) CLARK, JOHN. W., *The care of Books*, London 2007, pp.48-9; Staikos, *The History of The library*, pp.469-71.

(2) STAIKOS, *The History of The library*, p.471

(3) STAIKOS, *The History of The library*, p.471.

(4) STAIKOS, *The History of The library*, p.471.

ذلك كله لطبيعية حياة الرهبنة ذاتها والتى كان أساسها التقشف والزهد ، فهؤلاء الذين تركوا الحياة راغبين في العيش ببساطة وتقشف بعيدين عن رغد الحياة ورفاهيتها لم يكن يهمهم بناء فخم مزين في شيء ، وهو الذي لا يناسب بساطة حياتهم ، بقدر ما كان يهمهم محتوي المكتبة من كتب تغذي أرواحهم ، ومن هنا ركز مؤسسو الأديرة ومكتباتها على محتويات المكتبة وقيمتها وجودتها الفنية أكثر من وجود مكان ضخم مزين توضع فيه الكتب[١]؛ ولكن لا يجب أن نفهم من ذلك أنه لم يكن هناك مكان مخصص لحفظ الكتب والمخطوطات داخل الدير؛ حيث امتلك كل دير الكثير من الكتب التي قامت عليها الحياة الدينية والطقوسية ، فضلًا عن الكثير من الوثائق التي تتعلق بالأمور المادية والإدارية الخاصة بممتلكات الدير وعلاقته بالسلطات المحلية ، التي يجب حفظها فى مكان داخل الدير.

ومن هنا وجدت المكتبة بداخل مباني وحجرات الكنيسة ، وقد كان هذا أمرًا شائعًا في الأديرة البيزنطية؛ مثل مكتبة دير خورا بالقسطنطينية ، التي كانت بالطابق الأول للممر الشمالي للكنيسة الرئيسة بالدير ، وكذلك مكتبة دير برودروموس Prodromos ومكتبات أديرة جبل أثوس Mount Athos[٢] وقد وُجدت في ممرات الكنيسة الرئيسة للدير منذ القرن العاشر ، فضلًا عن ذلك استخدمت الأبراج الديرية مكتبات وأماكن لحفظ الكتب في الفترة البيزنطية المتأخرة ، الأمر الذي يعكس تطور مكان المكتبة الديرية عبر مراحل التاريخ البيزنطي؛ وذلك لمواكبة

---

(1) STAIKOS, *The History of The libarary*, p471.

(٢) جبل اثوس : أطلق عليه الجبل المقدس ، ويقع شمال غرب اليونان وقد ظل جبلا مهجورا حتي بدأ الرهبان في الذهاب إليه ، ربما ذلك في فترة متأخرة من القرن الثامن الميلادي وبداية القرن التاسع؛ ولكن مع منتصف القرن العاشر شهدت الحياة الديرية علي الجبل أوج ازدهارها ، وأصبح بعد ذلك أكثر المراكز أهمية للحركة الديرية *ODB*, I, p 224؛ نعيمه محمد إبراهيم ، دور زوجات الأباطرة والأميرات في عصر أسرة باليولوجوس (١٢٦١-١٤٥٣م) ، رسالة دكتوراة غير منشورة ـ جامعة القاهرة ٢٠١٠م ، ص٥٤ هامش رقم (٣).

ازدياد أهمية الدور الثقافي والروحي لها ، وللزيادة المستمرة في أعداد الكتب؛ كذلك كانت الأبراج مكانا تخزيني مناسبًا ومحصنًا لحماية الكتب[١].

شكل (١) مكان وجود المكتبة بالبرج

ويري باكيرتزيس Bakirtzis أن وجود المكتبة داخل الكنيسة وأروقتها دليل علي المعني والقيمة المقدسة للمكتبة وأهمية ما احتوت عليه من كتب قيمة ، وكذلك اتصالها الروحي بمؤسسي وزعماء الدير الذين اتخذوا صوامعهم في أروقة الكنيسة[٢]؛ كما أن وجود المكتبة الديرية في أروقة الكنيسة يدل علي الرغبة في حفظها وصيانتها؛ نظرًا لما حوت من كتب مهمة وسجلات خاصة بممتلكات الدير؛ وحتي يكون الوصول إليها صعب ومن خلال رئيس الدير فقط؛ فمكتبة دير

(1) BAKIRTZIS, NIKOLAS, «Library Spaces in Byzantine and Post-Monasteries» in: *Modern Greek Studies Yearbook*, Univ. Minnesota, Vol. 22/23, 2006/7 (printed. 2012), pp.41-45; Hagios Ioannis Prodromos Monastery on Mount Menoikeion: Byzantine Monastic Practice, Sacred Topography, and Architecture, PhD, Princeton University 2006, pp.239-254.

(2) BAKIRTZIS, *Library Spaces*, p.47.

برودروموس كان الوصول إليها يتم من خلال سلالم قابلة للحمل ، وكذلك بعض مكتبات الأديرة الأخري كان يتم الوصول إليها فقط من خلال ممر ضيق في أعلي مبني الغرفة المجاورة للمكتبة[1].

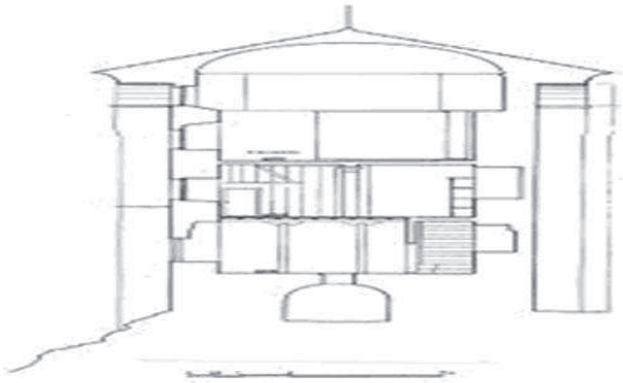

شكل (٢) برج المكتبة من الداخل

شكل (٣) دواليب حفظ الكتب في الأديرة

(1) BAKIRTZIS, *Library Spaces*, p.47.

وذلك كله من أجل حماية الكتب وصيانتها والذي كان يتم حفظها في صناديق ودواليب خشبية محكمه[١] (شكل٣)؛ كما أن التيبيكا الديرية قد اتخذت إجراءات حازمة لحماية الممتلكات الديرية؛ ومنها الكتب من الاعتداء أو السلب والنهب والسرقة أو الاستيلاء عليها بأية صورة كانت، فمنعت نقلها أو أخذها بواسطة أي شخص؛ مهما كانت مكانته أو سلطته، وحظرت علي رؤساء الأديرة أو أي أحد من الرهبان التصرف فيها تحت أي مسمى، سواء أكان ذلك عن طريق الوصية أم الهدية، فكل من المانح والمهدي لهما يُعرضّ للعن والحرمان[٢]. وأكدت لائحة دير Karyes على ذلك؛ إذ ذكرت علي لسان مؤسس الدير «... إني أقسم أمام المسيح وأمه الطاهرة... أنه لو تجرأ أي شخص وأخذ شيئًا من هنا أو حول ملكية الكتب والأيقونات أو أي شيء آخر، فإنه سوف يُحرم ويُلعن ويصبح مذنبًا بواسطة الثالوث المقدس الواهب للحياة، الأب والابن والروح القدس وبواسطتي ولا يمكن غفران ذنبه أو التسامح معه، لا الآن ولا مستقبلًا»[٣].

كذلك حرمت التيبيكا علي أفراد الجماعة الديرية إخراج الكتب من الدير أو توريثها، فأمر تيبكون دير نيلوس دماليس الراهبات بعدم الوصية بتوريث كتبهم بعد وفاتهم لأي شخص خارج الدير[٤]، الأمر الذي يعكس مدي أهمية الكتب وقدسيتها لدي الرهبان ورغبتهم في الحفاظ عليها.

---

(1) STAIKOS, *The History of The library*, pp.488-9.

(2) CHRISTODOULOS. p.599; EVERGETIS, MACHAIRAS, p.1150; «Neophytos, Testamentary Rule of Neophytos For The Hermitage of The Holy Cross near Ktima in Cyprus», *Trans. Galatariotou*, Catia, BMFD, 45, Washington 2000, p.1355; PHOBEROS, «Rule of John For The Monastery of St. John The Forerunner of Phoberos», Trans. Jordan, Robert, BMFD 30, Washington 2000, p.37.

(3) KARYES, p.1335.

(4) NEILOS DAMILAS, p.1470..

مصادر حصول المكتبة علي الكتب

احتوت المكتبة الديرية على عدد مهم من الكتب كان مصدرها في البداية مؤسسي الدير ، خاصة المؤسسين البارزين ، فعندما يقوم الشخص ببناء أو تجديد دير ، فإنه يعمل على توفير الكتب اللازمة لحاجة الرهبان ، والتي كانت نواتها الأساسية مكتبته الخاصة التي أحضرها معه عند انسحابه للدير؛ إذ كانت هناك عادة شائعة ، وهي أنه عند انسحاب الأشخاص إلى الأديرة لقضاء سنوات عمرهم الأخيرة؛ وخاصة لو كانوا رجال علم وثقافة أو رجال دين يأخذون معهم كتبهم الخاصة التي تصبح ملكا للدير؛ فقد وضع خريستودولوس Christodoulos[١] مكتبته في دير باتموس Patmos، وهي المكتبة التي يكشف محتواها عن ثقافة الرجل وحبه للعلم والكتب ، وكذلك أحضر الكثير من الرهبان كتبهم معهم عند انسحابهم لهذا الدير[٢].

كما أن الأميرة ثيودورا رولين Theodora Roulain[٣] (المحبة للكتب) قد حملت

---

(١) خريستودولوس ، ولد في بيثينيا في العقد الأول من القرن الحادي عشر الميلادي ، وبعد أن أصبح راهبًا اتجه إلي جبل لاتروس Latros ولكنه اضطر لمغادرته بعد تعرض ديره لهجوم الأتراك سنة ١٠٧٩م ، فرحل إلي جزيرة كوس Kos وأسس دير هناك ، ولكن بعد فترة غادرها واتجه إلي باتموس التي تتسم بالهدوء والعزلة الشديدة ، وهناك قام بتأسيس ديره وتكريسه للقديس حنا اللاهوتي .St.John The Theologian سعاد محمود عبد الحميد ، التنظيمات الديرية في بيزنطة ، ١٠٨ـ ١٠٩، هامش رقم (١).

(2) CHRISTODOULOS, pp.566, 596; MACHAIRAS, 1162. 150; PRODROMOS, *Testament of Neilos For The Monastery of St. John The Forerunner* (Prodromos) on Mount Athos, Trans. Reinert, Stephen, BMFD 48, Washington 2000, p.1393; PADOVER, *Byzantine Libraries*, p.323.

(٣) ثيودورا رولين، هي ابنه إيرين باليولوجوس Eirene Palaiologos (الراهبة إيلوجيا) أخت الإمبراطور ميخائيل الثامن ولدت نحو سنة ١٢٤٠م وتزوجت الدمستق جورج موزوالون George Mouzalan في نيقية سنه ١٢٥٦م ، وبعد قتله تزوجت يوحنا راؤول John Raoul سنة ١٢٦٠م ولكن بعد وفاته أخذت القسم الرهباني ، وعاشت في الدير حتي وفاتها سنة ١٣٠٠م ولعبت دورا مهما في =

معها مكتبتها الخاصة لدير القديس أندروس Andrews[١] بالقسطنطينية ، وقد قامت بتجديده وتلقت فيه النذر الديرية ، وقد احتوت مكتبتها على مؤلفات عديدة لدرجة أن البطريرك الجريجوري الثاني Gregory (١٢٨٣-١٢٨٩م)[٢] يذكر للأميرة في إحدى خطاباته لها أن مكتبتها أضخم من مكتبته[٣].

كما أن شراء الكتب لتزويد مكتبة الدير كانت ممارسة معروفة في الدولة البيزنطية؛ حيث كان يُخصص جزء من دخل ممتلكات الدير لصيانة المكتبة وتزويدها بالكتب والإنفاق عليها ، وذكرت اللوائح الديرية عملية شراء الكتب ، فيذكر خريستودولوس نفسه في لائحه ديره ، بأنه اشترى الكثير من الكتب من

= الحياة الثقافية والدينية للإمبراطورية . NICOL, D.M., *The Byzantine Family of Kantakouzenos* (Cantacuzenus) Ca. 1100 1460, Washington 1968, pp.16-17; FASSOULAKIS, S., *The Byzantine Family of Raoul-Ral* (L) es, Athens 1973, p.26؛ نعيمة محمد إبراهيم ، دور زوجات الأباطرة والأميرات ، ١٠، هامش رقم (٤).

(١) دير القديس أندروس ، قامت الأميرة ثيودورا رولين بتجديد هذا الدير وأنشأت كنيسة علي المباني القديمة التي تعود إلى القرن الثامن الميلادي ، وقد دفن فيه القديس أندروس الكريتي الذي استشهد في عهد الإمبراطور قنسطنطين الخامس Constantine V (٧٤١-٧٧٥م). نعيمة محمد إبراهيم ، دور زوجات الأباطرة والأميرات ، ٩٢، هامش رقم (١).

(٢) جريجوري الثاني ، هو جريجوري القبرص بطريرك القسطنطينية ، ولد في جزيرة قبرص مسقط رأسه ، ونسب إليها ، ثم ذهب إلى نيقية ومنها إلي القسطنطينية ، ونال شهرة كبيرة في الدوائر البيزنطية ، واتخذه الإمبراطور ميخائيل الثامن مستشارًا له ، واختاره أندرونيقوس الثاني بطريركا ، ولعب دورا مهما في الحياة الثقافية والفكرية آواخر القرن الثالث عشر الميلادي وله العديد من الكتابات بالإضافة إلي سيرته الذاتية. ولمزيد من التفاصيل عن دورة في الحياة الفكرية البيزنطية: PAPDAKIS, A., *Crisis in Byzantium The Filioque Controversy in The Patriarchate of Gregory of Cyprus (1283-1289)*, New York 1983, pp.24-47; CONSTANTINIDES, C.N., *Higher Eudction in Byzantium in The Thirteenth and Early Fourteenth Centuries (1204 - ca 1310)*, Nicosia 1982 pp.32-6; *ODB*, 2, pp.876-7؛ نيكول ، معجم التراجم البيزنطية ، ص٣٢.

(3) GREGORY OF CYPRUS, *Letters*, ed. E. Eustratiades, E ph IV (1909), pp.116-19,

أمواله الخاصة: «معظم الكتب المذكورة آنفا اشتريتها بمجهودي وعلي نفقتي الخاصة»[١].

وتذكر لائحة دير ميخائيل أطالياتيس Micheal Attaleiates[٢] عددًا من الكتب التي تم الحصول عليها بالشراء، ومنها عدة نسخ من الإنجيل وكتاب الفصول وسير القديسين وبعض الكتب المستخدمة في الطقوس الدينية لتلبية احتياجات الرهبان[٣].

فضلًا عن ذلك، فقد لعبت الهبات والمنح التي كان يقدمها الأفراد للدير وقد كان من بينها الكتب دورا مهما في إمداد المكتبة الديرية، سواء أكان هؤلاء الأفراد أباطرة أو أمراء أو رجال دين أو حتى أفراد عاديين، والتي قدمها بعضهم نتيجة لمرورهم بالدير وحسن ضيافتهم فيه، أو طلبًا للخلاص وإرضاء للرب أو اعترافًا بالفضل والجميل له، وتقدم التيبيكا العديد من الأمثلة علي ذلك، ومثال ذلك ما قدمه الإمبراطور ألكسيوس الأول كومنين Alexius I Komnenos (١٠٨١-١١١٨م) من منح لدير باكوريانوس Pakourianos[٤]، ومنها نسخة من الإنجيل مكتوبة باللغة اليونانية

V (1910) pp.450-2; Nicol, D.M., *The Byzantine Lady Ten Portraits 1250-1500*, Cambridge 1996, pp.40, 41, 43.

(1) Christodoulos, p 599.

(٢) ميخائيل أطالياتيس، هو المؤرخ ورجل الدولة، عاش في الفترة ١٠٢٨م و١٠٨٥م، ولد بالقسطنطنية وعمل بالمحاماة، وأصبح من كبار موظفي الدولة زمن الإمبراطور رومانوس الرابع، ويغطي تاريخه الفترة الممتدة من ١٠٣٤م وحتي ١٠٧٩م، ويعد من المصادر المهمة، كان صاحبه شاهد عيان لأحداثه، وتضمن العديد من الملاحظات الاجتماعية عن عصره. نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ١٧٦.

(3) ATTALEIATES, *Rule of Micheal Attaleiates For his Almshouse in Rhaidestos and For The monastery of Christ Panoiktirmon in Constantinopl*, Trans. Talbot, Alice-Mary, BMFD, 19 Washington 2000, p326.

(٤) دير باكوريانوس: أسس هذا الدير جريجوري باكوريانوس، وهو قائد بيزنطي ـ أرمني الأصل، ساند ألكسيوس كومنين في الوصول إلى العرش الإمبراطوري، ومات في الحرب مع البشناق سنة ١٠٨٦م. سعاد محمود عبد الحميد، التنظيمات الديرية في بيزنطة، ٩٤، حاشية رقم (١).

ومرصعة بالأحجار المتنوعة واللؤلؤ المطلي بالمينا بتكلفة عالية[١] ، وقدمت الأميرة مارية باليولوجوس أو (سيدة المغول)[٢] نسخة مزينة من الإنجيل لدير خورا شكرًا وامتنانًا للعذراء التي أنقذتها من الكثير من المخاطر التي تعرضت لها أثناء ابتعادها عن أسرتها في القسطنطينية وزواجها وإقامتها في بلاد المغول[٣].

وتذكر لائحة دير أطالياتيس العديد من الكتب التى قدمها عدد من الموظفين والرهبان للدير ، فقدم الراهب يوحنا ، وهو سكرتير رئيس الدير نسخة من الإنجيل المقدس ، وكتابًا ليوحنا ذهبي الفم John Chrysostomos

---

(1) PAKOURIANOS, *Typikon, of Gregory Pakourianos For The Monastery of The Mother For The Monastery of The Mother of God Petritzonitissa in Backovo*, Trans. Jordan, Robert BMFD, 23, Washington 2000, p 526.

(٢) مارية باليولوجوس ، هي ابنة غير شرعية للإمبراطور ميخائيل الثامن باليولوجوس ، الذي أرسل إلي هولاكو سفارة عارضا عليه أن يزوجها له ؛ كنوع من الزواج السياسي أو زواج التحالف ، وذلك لتأمين حدود الإمبراطورية الشرقية ودفعًا لخطر مغول فارس ، ووافق القائد المغولي علي الزواج وأرسلت مارية إليه؛ لكنه توفي أثناء ذلك فتزوجت من خليفته أبغا وعاشت هناك؛ إلا أنها تعرضت للكثير من الصعاب حتى عادت للإمبراطورية مرة أخرى. لمزيد من التفاصيل عن الزواج السياسي والأميرة مارية انظر: NICOL, D.M., «Mixed Marriages in Byzantium in The Thirteenth Century» in: *Byzantium : Its Ecclesiastical History and Relations with The Western World*, London 1972, pp.160-8; IZEDDIN, M., «Notes sur les Mariages Princiers en Orient ou Moyen Age» JA, cclvi I (1969), pp.139-159؛ الأمين عبد الحميد أبو سعدة ، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والقوي الإسلامية في المشرق في عهد الإمبراطور ميخائيل الثامن باليولوج (١٢٥٩-١٢٨٢م/ ٦٥٧-٦٨١هـ) ، رسالة ماجستير غير منشورة ـ كلية الآداب ـ جامعة طنطا ١٩٩٢م ، ٢٤٣، هامش رقم (٢) ؛ نعيمة محمد إبراهيم ، دور زوجات الأباطرة والأميرات ، ص٦٩ـ ٨١، ١٢٥.

(3) TALBOT, A-M., «Building Activity in Costantinople under Andronikos: The Role of Women Patrons in The Construction and Restoration of Monsteries» in: *Byzantine Constantinople Monuments Topography and Everday Life*, ed. Necipoglu, N., Brill 2001, p.335; Teteriatinko, N., «The Dedication of The Chora Monstery in the time of Andronikos Palaiologos», B xvi (1996), pp.195-6 نعيمة محمد إبراهيم ، دور زوجات الأباطرة والأميرات ، ١٢٥-١٢٦.

(٣٩٨-٤٠٤م)[١]، وكتابًا عن حياة القديسين، وبعض الكتب الخدمية وأيضا كتابًا عن الزلازل والرعد، وكتابه فى التاريخ، أما الراهب ميخائيل، وهو أحد الرهبان بالدير فقدم نسخة من كتاب الفصول وسفر المزامير ونسخة من إنجيل متى، بالإضافة إلي كتاب أيوب البار، وحكمة سليمان، وحكمة يسوع، وأنشودة الأناشيد، وأيضًا كتاب القوانين الكنسية، وبعض الكتب الخدمية الهامة للطقوس اليومية[٢]. أما لائحة دير خريستو دولوس فتذكر هدايا عديدة من الكتب قدمها أشخاص من جزر رودس، خيوس، كريت لمكتبة الدير في القرن الثاني عشر للميلاد[٣]. ونظرًا لأهمية وقيمة ما قدمه هؤلاء من كتب؛ فقد نصت التيبيكا الديرية علي ضرورة إقامة خدمة إحياء الذكري السنوية لهم بصورة دائمة في الطقوس اليومية[٤] كذلك كان تبادل الكتب والاستعارة بين رؤساء الأديرة عاملًا مهمًا في تزويد المكتبة الديرية بالكتب، ومثال ذلك الأميرة إيرين خومانوسIrene Choumnos[٥] التي ضم ديرها مكتبة كبيرة؛ تدل محتوياتها علي مدي ثقافة

---

(١) يوحنا ذهبي الفم، هو يوحنا الأول خريسوستوموس، ويعرف بفم الذهب، نظرا لما امتاز به من الفصاحه، ولد في أنطاكية ودرس القانون واللاهوت، وعين بطريرك للعاصمة سنة ٣٨٩م رغم عزوفه عن المنصب، وكان من رجال الإصلاح الأخلاقي أكثر من كونه رجل دين، وندد بالإسراف والتبذير خاصة من قبل رجال الدولة مما عرضه للنفي؛ وحظي بتبجيل واحترام الكنائس الشرقية والغربية عدته من القديسين. نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ٦٠.

(2) ATTALEIATES, p357. .

(3) CHRISTODOULOS, p.357; PADOVER, *Byzantine Libraries*, p 323; WILSON, *Libraries of The World*, p.70.

(4) ATTALEIATES, p.358.

(٥) إيرين خومانوس، هي ابنة المثقف ورجل الدولة البارز في بلاط الإمبراطور أندرونيقوس الثاني، نقفور خومانوس، ولدت سنة ١٢٩١م وتزوجت الديسبوت يوحنا باليولوجوس John Palaiologos ابن الإمبراطور أندرونيفوس الثاني سنة ١٣٠٣م، ولكنها ترملت سنة ١٣٠٧م؛ وهي في السادسة عشر من عمرها وتبرعت بجزء من ثروتها للفقراء، وقامت بإنشاء دير نسائي انسحبت إليه، وقضت بقية حياتها هناك حتي موتها سنة ١٣٥٥م؛ HERO, A.C., «Irene Eulogia Choumnaina Palaiologine

الأميرة ، وقد طلب منها مرشدها الروحي أو معلمها أن ترسل له قائمة بالكتب الموجودة بها؛ ليعرف ما يمكن استعارته منها ، وطلب منها في إحدى خطاباته لها كتابات ثيوليبتوس الفيلادلفي Theoleptos of Philadelphia[١] (١٢٥٠-١٣٢٢م) ، وكذلك أحد مؤلفات أبيها نقفور خومانوس[٢]؛ مما يدل علي وجودهما في مكتبة ديرها ، وطلبت هي في أحد خطاباتها له مؤلفه عن البطريرك إثناسيوس ، وأيضا بحثًا له كتبه في الدفاع عن الثقافة والتعليم اليوناني ، وأشعارًا له قام بإرسالها إلي الأميرة إيرين ، فأمرت بنسخها ووضعها في مكتبة ديرها[٣]. وطلبت كذلك الأميرة ثيودورا رولين في إحدى خطاباتها من نقفور خومانوس أن يعيرها نسخة لشرح نظرية أرسطو بشروح ألكسندر أفروديستاس

Abbess of The Convent of Philanthropos Soter in Constantinople» BF ix (1985), pp.432-3; *ODB*, I, pp.432-3.

(١) ثيوليبتوس الفيلادلفي ، مواطن من مدينة نيقية ولد نحو سنة ١٢٥٠م ، ووصل إلي درجة كبيرة من الثقافة والمعرفة اللاهوتية وكان من أشد المعارضين لسياسة الوحدة الكنسية في عهد الإمبراطور ميخائيل الثامن باليولوجوس؛ مما عرضه للسجن ، ولكن بعد وفاه الإمبرطور وإلغاء الوحدة الكنسية ، اتخذه أندرونيقوس الثاني مستشارا له ، ونظرًا لجهوده في الدفاع عن إلغاء الوحدة الكنسية عينه الإمبراطور رئيس أساقفة فيلادلفيا HERO, A.C., «Theoleptos of Philadelphia (ca1250-1322), From Solitary to Activist» in: *Twilight of Byzantium : Aspects of Cultural and Religious History in The late Byzantine Empire*, Princeton 1989, pp.27-39.

(٢) نقفور خومانوس ، بدأ ظهور اسم أسرة خومانوس في الإمبراطورية البيزنطية منذ القرن الحادي عشر الميلادي ، وقدمت رجال بارزين كان أشهرهم نفقور خومانوس الذي بدأ مشوار حياته وزيرًا للمالية في عهد ميخائيل الثامن ، واستمر محتفظًا بمنصبه في عهد الإمبراطور أندرونيقوس الثاني وأصبح حاكمًا لمدينة سالونيك وحقق ثروة كبيرة ، كذلك لعب دورًا مهمًا في الحياة الثقافية وترك أعمال أدبية مهمة ، وله مختارات في مسائل علمية وفلسفية عديدة ؛ VERPEAUX, J., «Notes Prosopographiques sur La Famille Choumnos» BS 20 (1959) pp.252-266.

(3) IRENE-EULOGIA, *A woman's Quest For Spiritual Guidance: The Correspondence of Princess Irene-Eulogia Choumnaina Palaiologina*, Trans. Hero, A.C., Brookline Mass 1926, Letters. No.2, 4, 7, 12.

Alexander Aphroditsias، وقد أعارها المخطوط التي ربما أمرت بعمل نسخة منه ووضعته في مكتبة ديرها[١].

كذلك كان يخصص جزء من دخل ممتلكات الدير لصيانة المكتبة وتزويدها بالكتب اللازمة ، فتذكر لائحة دير أطالياتيس ، الذي امتلك العديد من الأراضي داخل القسطنطينية وخارجها؛ أنه تم شراء عدة نسخ من كتاب الفصول ، وكتب عن سير القديسين؛ وكذلك إنجيل له غلاف من الخشب المزين إلي جانب العديد من الكتب الأخري لتلبية احتياجات الرهبان[٢].

كذلك كان نسخ الكتب في الدير مصدرا مهمًا وأساسيًا لإمداد مكتبته بالكتب اللازمة لسد احتياجات الرهبان من الكتب اللازمة للقراءة وأداء الطقوس الدينية ، حيث وجد بكل دير منسخ خاص به؛ وشرحت التيبيكا الديرية مهمة المنسخ وقدمت امثلة لعدد من المناسخ والناسخين داخل الأديرة البيزنطية ، بل ووضعت القواعد التى يجب الالتزام بها عند النسخ ، وحذرت الرهبان من تجاوزها وحددت العقوبات لمن يخالف ذلك[٣].

محتويات المكتبة الديرية

إذا تحدثنا عن محتويات المكتبة الديرية فيمكن القول بأن هذه المكتبات قد احتوت علي العديد من الكتب الدينية والدنيوية التي يمكن تقسيمها ، كما هو موضح بالجدول ووفقا لقوائم الجرد الموجودة بالتيبيكا الديرية إلى عده انواع : كتب صلوات وطقوس أو كتب خدمية ، وقد اشتملت علي الأناجيل المقدسة وتفسيرها وكتاب الفصول ، الذي يحتوي علي عده فصول من التوراة تستخدم

(1) CHOUMNOS, N., *Letters*, ed. Leone, p.m.l., EEBS, XXXIX-XI (1972-3), p.90.

(2) ATTALEIATES, pp.16-326.

(3) STOUDIOS, ch3, p.632; CHRISTODOULOS, p.599.

في الصلاة، والسنسكار Synaxarion، وهو تقويم سنوى لأيام أعياد القديسين والأعياد العظمي في الكنيسة، ويحتوي علي القراءات التي تتلي والصلوات والخدمات التي تؤدي في كل عيد علي حده، إلي جانب كتاب أعمال الرسل وكتب المدائح والخطب الدينية والأدعية والترنيمات التي لم يخل منها أي دير؛ وذلك بسبب اعتماد الرهبان عليها في تأدية طقوسهم اليومية في الأيام العادية وأيام الصوم، وفي الأعياد والاحتفالات وذكري القديسين.

وفيما يأتي مثالين لمحتويات المكتبة الديرية كما ورد باللوائح الديرية.

(نموذجان من قوائم جرد المكتبات الديرية)

أنواع الكتب	دير نيلوس دماليس Neilos Damilas	دير أطالياتيس Attaleiates
الصلوات والطقوس	الأناجيل المقدسة	الأناجيل المقدسة– ونسخة أخرى بشرح ثيوفلاكت أف أوخريدا سفر
	العهد الجديد	كتاب مختصر للإنجيل
	Apostolos (كتاب أعمال الرسل)	أعمال الرسل
	Synaxarion (نتيجة كنسية للأعياد الثابتة في الكنيسة)	المزامير له نسخ عديدة – سفر الرؤيا
	Oktoechos (كتاب طقوس يحتوى على الترنيمات التي تتلى في القربان المقدس)	Oktoechos
		Praxapostolos فصول من التوراة تستخدم في القربان المقدس.
	كتاب خدمة للعشاء الرباني	
	Pentekostarion (كتاب طقسي لتراتيل الخمسين يوم لموسم العنصرة)	Heirmologion أناشيد وقصائد تُغنى أثناء الصلوات (وله عدة نسخ).
	Euchologion (كتاب طقوسي يستخدم بواسطة الرؤساء الديريين الرئيسيين لخدمات الطقس البيزنطي)	Sticherarion يُستخدم في صلاة الصباح والفجر طيلة العام (عدة نسخ).

	Menaion (الكتاب الشهري، وله عدة نسخ، كتاب خاص بقواعد الاحتفال بأعياد السيد المسيح).	الكتاب الشهريMenion
	طقسان ليوحنا الذهبي	شرح يوحنا الذهبي على إنجيل متى
	Gospel-Lectionary (كتاب الفصول)	كتاب الفصول
التعاليم والإرشاد والمواعظ	الكتاب الثاني ليوحنا الفم الذهبي	عظات يوحنا الفم الذهبي
	The Heavenly Ladder (كتاب الثلاثين سُلمة للوصول للجنة ليوحنا السُلمي)	أمثال وحكم سليمان
	Hexaemeros (الأيام الستة في الخليقة)	الأيام الستة في تفسير الخليقة ليوحنا الفم الذهبي
		كتاب الستة أيام للقديس باسيل
		حكمة يسوع المسيح مع الشرح والتعليق
القصص الديني	سير القديسين، لسيمون ميتافراس	سير القديسين لسيمون ميتافراس (له عده نسخ).
	كتاب عن العذراء Mother of God	كتاب عن حياة القديس Artemios وقديسين آخرين
	Propheteia (كتاب النبوءات)	كتاب عن القديس ديونيسيس
	كتاب عن سير القديسين	عشرة كتب لسيمون ميتافراس
	سفر أيوب البار	كتاب أيوب البار
الكتب العقائدية	كتب عقائدية للسيد ثيوفنيس النيقوسي	كتاب عقائدي للقديس باسيل
	بحث عقائدي لجريجورى بالماس والراهب متى ضد بلارم وأكنيدوس	
	أقوال يوحنا الفم الذهبي	
الكتب اللاهوتية	كتاب لجريجوري اللاهوتي	كتاب في اللاهوت ليوحنا الدمشقي
	أبحاث لمكسيموس الراهب وأخرى لباسيل العظيم	
	الأعمال اللاهوتية للقديس مكسيموس	

القوانين الدنيوية والكنسية والمجامع	Nomokanon (كتاب القوانين الكنسية ويحتوى على مجموعة من القوانين والنظم الكنسية والقوانين الدنيوية)	القوانين الكنسية
		كتب عن البطاركة
الكتب التاريخية		كتاب عن استيلاء الفرس على أورشليم (وله نسخة أخرى).
		كتاب تاريخي للمؤسس أتاناسيوس
		كتاب الملوك (وله عدة نسخ).
		حولية عذرا
كتب تعليمية ومتنوعة	معجم	كتاب في اللغة والأسلوب
	مجموعة كتب أدبية للقديس أنستاسيوس	كتاب للقديس يوحنا النازنيزى
		كتاب التماثيل
	كتاب بواسطة فوتيوس	كتاب مدح للقديسين والبطاركة والأباطرة
	مجموعة كتب عن الحب والفلسفة ليوحنا الدمشقي	كتاب لثيودور ستوديوس
		كتاب أغنية الأغاني
	كتاب للقديس دروسيوس Dorotheos	كتاب اللؤلؤ ليوحنا الفم الذهبي
		كتاب في المدح
الظواهر الطبيعية		كتاب عن الزلازل والرعد
الحياة الديرية والنسكية	التيبكون الخاص بالدير	كتابات نسكية للقديس باسيل
		كتابات مختارة من الأعمال النسكية للقديس باسيل
		تعليمات عن القواعد والحياة النسكية للقديس دروسيوس

أما كتب القصص الديني التي تناولت سيرة حياة القديسين والقديسات؛ فقد وُجدت في الغالبية العظمي من مكتبات الأديرة محل الدراسة، وتناولت حياة وأخلاق هؤلاء القديسين والمشاق التي واجهتهم وكيف تغلبوا عليها ومعجزاتهم، وذلك لحث الرهبان أن يسلكوا خطاهم في الحياة، وكان أهمها سير القديسين التي وضعها سيمون ميتافراستيس Symeon Metaphrastes[١] وقد وجدت منها نسخ عديدة في دير ميخائيل أطالياتيس Micheal Attaleiates[٢]؛ مما يدل على كثره اعتماد الرهبان عليها. وقد اشتمل هذا القسم أيضًا على كتاب عن السيده مريم العذراء والقديسة مارية المصرية والقديس يوحنا ذهبي الفم.

يليها الكتب العقائدية واللاهوتية التي تناولت بالشرح جوانب العقيدة المسيحية والتصدي للهرطقات؛ ومنها كتاب عن الزهد للقديس باسيل العظيم وعدة مؤلفات ليوحنا الدمشقي[٣] وغيرها.

---

[١] سيمون ميتافراستيس، كاتب وموظف كبير في نهاية القرن العاشر توفي سنة ١٠٠٠م، وكانت أهم انجازاته موسوعته عن حياة القديسين التي أعدها البعض ثورة في مجال كتابة السير والتراجم، وذلك بسبب كتابته المنظمة الدقيقة واعتماده علي العديد من المصادر المعاصرة. وتقع الموسوعة في عشرة أجزاء. وقد أصبحت القراءة الأساسية عن حياة القديسين في الدوائر الديرية منذ القرن الحادي عشر الميلادي وما بعده؛ *ODB*, pp.1983-4.

[٢] ميخائيل أطالياتيس، هو المؤرخ ورجل الدولة، ينحدر من أسرة متوسطة ولكنه أحرز مكانة بارزة في البلاط البيزنطي، وتولي عددًا من المناصب المهمة، فعمل سناتورًا وقاضيًا عسكريًا، وكانت له ممتلكات واسعة فى القسطنطينية وخارجها، وله عدة مؤلفات منها تاريخه الذى اتسم بالدقة والتفكير فى الأسباب والتحليل للأحداث. نعيمة محمد إبراهيم، آسيا الصغرى والحروب الصليبية، ٢٨-٢٩.

[٣] يوحنا الدمشقي، أو منصور بن سرجون، ولد في مدينة دمشق أواخر القرن السابع الميلادي/ الأول الهجري، في أسرة دمشقية ثرية، وكان جده موظفًا في الإدارة المالية البيزنطية بدمشق تولى أمر مفاوضات تسليم المدينة للمسلمين سنة ٦٣٥م، وظل محتفظًا بوظيفته التي توارثها أحفاده بعد ذلك وكان منهم يوحنا الذي كان موظفًا بالإدارة المالية زمن الخلافة الأموية، ثم انسحب بعد ذلك الي دير مارسابا، وأصبح واحدًا من أكبر لاهوتي الكنيسة اليونانية ومؤلفي تراتيلها وله العديد من المؤلفات. طارق منصور: «بلاد الشام=

أما كتب القوانين الكنسية وأعمال البطاركة، فقد حظيت باهتمام مؤسسي الأديرة؛ والذين عملوا علي توفيرها لمكتباتهم الديرية، فوجدناها في مكتبات أديرة نيلوس دماليس وسكوتين Skoteine واليوزا Eleousa ودير أطالياتيس. ذلك إلى جانب الكتابات التي تناولت نظام الحياة النسكية والديرية ويأتي على رأسها التيبيكا الديرية؛ حيث احتوت مكتبة كل دير علي اللائحة الخاصة بهذا الدير، وحث مؤسسو الأديرة علي قراءتها باستمرار بل ونصت بعضها على قراءة الرهبان لها مرة كل شهر حتي تثبت في أذهان الرهبان والراهبات ويلتزموا بقواعدها[١].

على هذا النحو يتضح مدى اهتمام مؤسسي الأديرة بتزويد مكتباتهم بالكتب الدينية بأنواعها المختلفة وذلك لحاجة الرهبان إليها في حياتهم وطقوسهم اليومية؛ إذ كانت الغلبة في هذه المكتبات للكتب الدينية، ولكن مع ذلك وجدت بعض الكتب ذات الطابع الدنيوي أو الكلاسيكي؛ فقد ضمت مكتبة دير خريستودولوس كتبًا دينية وغير دينية؛ إذ وجدت فيها مجموعة تحتوي علي ٣٣٠ مخطوط منها ٢٦٧ مخطوط علي الرق و٦٣ مخطوط علي الورق. وعند فحصها نجد أن ١٠٩ مخطوط لها محتوي طقوسي خدمي و١٠٧ مخطوط يمكن تصنيفها بأنها كتب ذات طابع وعظ وإرشاد و٣١ مخطوط خاص بسير القديسين، أما بقية المخطوطات فإنها تحتوي علي نصوص ذات طابع دنيوي وكلاسيكي في اللغة والطب والتاريخ والفلك، بالإضافة الي مقولات أرسطو[٢]،

=وحوار الأديان في القرن الثامن الميلادي ـ رسالة عمر بن عبد العزيز إلي ليو الإيسوري ورد الأخير عليها نموذجا» ضمن كتاب المسلمون في الفكر المسيحي (العصر الوسيط)، القاهرة ٢٠٠٨م، ٧٨-٧٩.

(1) LIPS, 432; *Charsianeites*, pp.1660-1661; KECHARITOMENE, p.698; MAHAIRAS, p.1165; BEBAIA ELPIS, 1556-1557.

(2) DIEHL, Ch. «Le Trésor et La bibliothéque de patmos au commencement du 13e siècle» BZ I (1892), pp.498-501; padover, Byzantine libraries, pp.323-4; STAIKOS, *TheHistory of The Library*, p.308.

وكذلك وجد في مكتبة دير أطالياتيس كتاب عن الزلازل والرعد ، فقد كان أمرًا شائعًا وجود مثل هذا النوع من الكتب والتى تتناول الظواهر الطبيعية في المكتبات الديرية[١] واحتوت هذه المكتبة أيضًا علي كتب تاريخية؛ منها كتاب ميخائيل أطالياتيس نفسه ، ومجموعة كتب أدبية خاصة باللغة والأسلوب (انظر الجدول).

أما في دير نيلوس دماليس فقد وجدت مجموعة كتب أدبية ومعجم وكتاب في الفلسفة وآخر في المحبة الالهية ربما كان يستخدمها الرهبان (انظر الجدول) واحتوت مكتبة دير سكوتين علي كتاب تاريخي ، وهو الاستيلاء علي أورشليم بواسطة الفرس سنة ٦١٤م ، ووجد في أديرة نيوفتوس Neophytos واليوزا وكتب خاصة بالتعلم والحصص التعليمية ، وربما كان ذلك أمرا شائعا بالأديرة التي وجدت بها مدارس.

أما مكتبات أديرة جبل أثوس فقد احتوت على مجموعات متنوعة من الكتب الدنيوية؛ ففي دير لافرا lavra وجدت وثيقة علمية مهمة وعدة كتب في التاريخ وكتابات الفلاسفة اليونان أمثال أرسطو ، وكتاب لبطليموس ومؤلفات مؤرخي الكنيسة؛ أمثال يوسيبوس القيصري وسقراط[٢]. وفي دير فاتوبيدي Vatopedi وجد مخطوط في الجغرافيا يحتوي علي ٤٢ خريطة لقارات أوربا وأفريقيا وآسيا وهي مرسومة بصورة دقيقة وبها العديد من التفاصيل عن كافة المدن بالإضافة إلى وجود مستطيل صغير في نهاية كل خريطة يحتوي علي العديد من أسماء المدن والبحار والجبال والأنهار[٣] ، ووجد كتاب في الأعشاب الطبية والتداوي بها في دير القديس يوحنا المعمدان[٤].

---

(1) WILSON, *Libraries of The Byzantine World*, p.64.

(2) WILSON, *Libraries of The Byzantine World*, p62.

(3) STAIKOS, *The History of The Library*, p.256.

(4) WILSON, *Libraries of The Byzantine World*, p.64.

نظام الاستعارة داخل المكتبات الديرية

لم تمدنا التيبيكا الديرية بمعلومات عن نظام الاستعارة الخارجية ، فالمكتبات الديرية لم تكن مفتوحة لكل من يريد الدخول إليها؛ مثل مكتبات العصور القديمة ، وربما يرجع ذلك إلى نظام الحياة الديرية نفسها الذي يفرض العزلة عن العالم الخارجي ، ويحرم دخول الدير على الأفراد من الخارج ، فضلًا عن وجود الأديرة في أماكن بعيدة ومنعزلة مثل أديرة جبل أثوس ، الأمر الذي زاد من انعزال المكتبات الديرية[١].

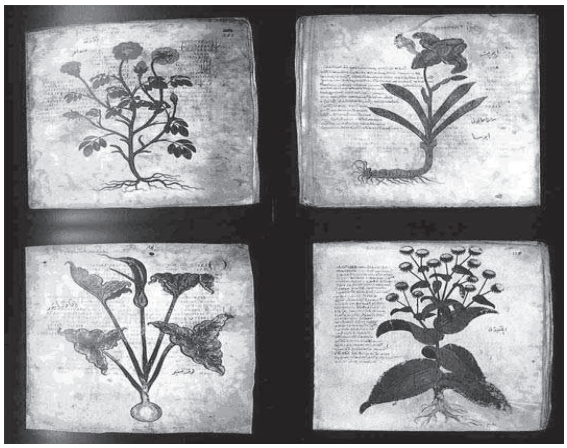

شكل (٤) نماذج من الكتابات الطبية بالمكتبات الديرية

---

(١) كان الأمر مختلفًا في أديرة الغرب الأوربي؛ حيث كانت الكتب تعار إلى خارج الدير إلى رجال الدين والأساقفة والنبلاء المحليين وموظفي الدولة والأشخاص ذوي النفوذ من الرجال والنساء والذين كانوا يستعيرون الكتب للقراءة أثناء الصوم ، وكان يفرض عليهم أن يتركوا أشياء مساوية لقيمه الكتب المستعارة كضمان لردها مرة أخري إلي الدير ، وعندما يعار الكتاب كانت يتم تدوين ذلك في كتالوج خاص في مكتبة الدير ، ويعمل بعد ذلك علامة عند إعادة الكتاب للمكتبة ، وكانت الإعارة أحيانًا تتم؛ كنوع من المحاباة أو المجاملة للأشخاص ذو المكانة في المنطقة المحيطة بالدير . LERNER, *Libraries Through Ages*, New York, 1926, p.34.

ولكن هذا لا ينفي وجود بعض الإشارات عن استعارة الكتب للخارج؛ ففى خطاب لمكسيموس بلادنويديس سنة ١٢٩٢/ ١٢٩٣م، يقرر أن مكتبة الدير والذي كان به، ربما دير خورا قد عانت من نقص وضياع الكتب، وذلك لأنها كانت تعار بالخارج ولا ترد[١] الأمر الذي يدل على أن بعض الأديرة كانت تسمح بإعارة الكتب خارجها. كذلك وجدت أمثلة عديدة لتبادل الكتب والمخطوطات بين رؤساء الأديرة والرهبان البارزين والمثقفين، التي احتوت عليها مكتبات أديرتهم على مدى تاريخ الديرية البيزنطية. فقد أرسلت ثيودورا رولين مخطوطًا لصديقها مكسيميوس بلانويديس من مكتبة ديرها ليصححة ويقارنه بالنسخة الموجودة لديه[٢]، وكذلك أرسلت مخطوطًا من مكتبتها الديرية وهو إحدى كتابات أرسطو لصديقها قنسطنطين أكروبوليتس لتعرف رأيه فيه كما أرسلت لرجل الفكر والثقافة نقفور خومانوس، الذي كان من أكثر الدارسين والمعجبين بفكر أرسطو، تطلب منه نسخته لشرح نظرية أرسطو بتفسيرات ألكسندر أفروديتسياس Alexander[٣] Aphroditsias.

وكذلك فإن الأميرة إيرين خومانوس استعارت من مرشدها الروحي الثاني[٤]

---

(1) STAIKOS, *The History of The Library*, p.426; CONSTANTINIDES, *Higher Education*, pp.70-71.

(2) NICOL, *Byzantine Lady*, p.42; CONSTANTINIDES, *Higher Education in Byzantium*, pp.77-78.

(٣) نعيمة محمد إبراهيم، دور زوجات الأباطرة والأميرات، ٩٣-٩٤.

(٤) اختلفت الآراء حول اسم وتاريخ ومحل ميلاد المرشد الثاني للأميرة إيرين، ولكنه كان راهبا عاش في القسطنطينية ثم رحل إلى سالونيك وعاش هناك لبعض الوقت، ثم عاد إلى العاصمة البيزنطية مرة أخرى، وعاش فى أحد الأديرة، وتمتع بدرجة عالية من الثقافة، وعرف ككاتب مميز حتى قبل الرهبنة، وكتب العديد من المؤلفات في الثقافة الهللينية واللاهوت، وكان على صداقة قوية مع كبار الشخصيات فى العاصمة . BOOJAMRA, J.L., *Social Thought and Reforms Athanasios of Constantinople (1289-1293, 1303-1309)*, B lv (1985), pp.332-382.

أعمال البطريرك أثناسيوس، وكتابات ألفها للدفاع عن التعليم الكلاسيكي ومجموعة أشعار له، وفي المقابل أرسلت له الأسفار الخمسة للعهد القديم التي احتوت عليها مكتبة ديرها وعدة مقالات لمرشدها الروحي الأول ثيوليبتوس الفيلادلفي[١] وفي المقابل تذكر التيبيكا الديرية نظاما أشبه بالاستعارة الداخلية؛ فقد سمح للرهبان داخل الدير باستعارة الكتب بشرط الحفاظ عليها وإرجاعها في الوقت المحدد، وكان يشرف على هذه العملية أمين المكتبة، وقد حددت تيبيكا دير ستوديوس وقت الاستعارة بالصباح، حيث يأتي الرهبان إلى مكان وجود الكتب ويستعير كل واحد منهم كتاب من أمين المكتبة، بشرط أن يرجعه وقت الغروب، إذ كان يتم معاقبة الراهب إذ تأخر فى إرجاع الكتاب أو أهمل في استخدامه[٢].

أوجه الاستفادة من المكتبة داخل الدير

لم تقتصر الخدمات التي قدمتها المكتبة الديرية علي تقديم الكتب اللازمة لتأدية الطقوس الدينية والقراءة للرهبان، وإنما خدمت موظفي الدير الماليين والإداريين لما احتوت عليه من وثائق خاصة بأملاك الأديرة والمراسيم الخاصة بالمنح التى قدمها الأباطرة ورجال الدولة للدير، وأيضًا الإعفاءات من الضرائب على الممتلكات الديرية، فضلًا عن القرارات الخاصة بعلاقة الدير بالسلطات المحلية فى منطقته. ومثال ذلك مكتبة دير باكورينوس والتي شملت على العديد من المراسيم التي تنص على الإعفاء من الضرائب لأملاك الدير والتى شملت قرى بأكملها، وكذلك حمايتها من المصادرة وحرية تصرف مؤسس الدير في هذه الأملاك بما فيها حريته

---

(1) CORRESPONDEN OF PRINCESS IRENE, *Letters*. No.4. p.33, No.10 p.59, No.12, p.63.

(2) STOUDIOS, p.108.

في نقلها لأى شخص آخر ، وكذلك وجود وثائق تؤكد استقلال الدير ضد أي تدخل[١].

فضلًا عن ذلك فقد أمدت المكتبة موظفي الدير بما يحتاجون إليه من نصوص قانونية لإدارة الممتلكات الواسعة للدير ، فاشتملت مكتبة دير نيلوس دماليس على كتاب في القوانين ، وكذلك مكتبات أديرة سكوتين ، إليوزا ، ودير أطالياتيس على نسخ مماثلة[٢].

كذلك قدمت المكتبة الديرية المساعدة للدارسين في الدير ، لما احتوت عليه من كتب في مبادئ النحو والقواعد والإنشاء والأعمال الأدبية وأعمال الخطباء اليونانيين ، وكتب خاصة بالتعلم ، فقد وجد في مكتبة دير نيوفتوس Neophtos كتاب خاص بالتعلم عن طريق السؤال والجواب ، ووجدت مجموعة كتب أدبية في دير نيلوس دماليس ، وكتاب آخر يحتوي على مجموعة خطب في دير سكوتين ، وأيضا كتاب خاص باللغة والأسلوب فى مكتبة دير أطالياتيس[٣] (انظر الجدول). أما اللاهوت فكان يدرس من الكتاب المقدس نفسه بشرح وتفسيرات آباء الكنيسة ، فوجدت نسخة من الأنجيل بشروح وتعليقات يوحنا ذهبي الفم في دير باكوريانوس ، ونسخة من الأناجيل الأربعة والتعليق عليها بواسطة رئيس أساقفة بلغاريا فى دير أطالياتيس[٤]. وكذلك استفاد الأطباء في مستشفي الدير من المكتبة الديرية؛ لما احتوت عليه بعض المكتبات من الكتابات الطبية للأطباء

---

(1) PAKOURIANOS, pp.555-6.

(2) NEILOS DAMILAS, p.1478; SKOTEINE [BOREINE]: *Testament of Maximos For The Monastery of The Mother of God at Skoteine near Philadelphia*, Trans. Dennis, George, BMFD 35, Washington 2000, pp.1185-6; Eleousa Inv, pp.1672-1673; ATTALEIATES, p.359.

(3) NEOPHYTOS, p.1355; NEILOS DAMILAS, p.1478; SKOTEINE, p.1185; ATTALEIATES, p.359.

(4) ATTALEIATES, p.368.

اليونانيين وكتب العقاقير والأعشاب وخصائصها واستخدامها في علاج بعض الأمراض، إذ وجد في دير القديس يوحنا المعمدان كتاب مزين عن الأعشاب الطبية وفوائدها[١].

الدور الثقافي للمكتبة الديرية

لقد مثلت الأديرة ومكتباتها مركزًا مهمًا من المراكز الثقافية والحضارية في الدولة البيزنطية، وإليها يعود الفضل في حفظ التراث الكلاسيكي اليوناني والروماني؛ بل والمسيحي من الضياع، وتقديمه بعد ذلك ليكون أساسًا للحضارة الأوربية الحديثة؛ فإنه بدون العمل الدؤوب من جانب الناسخين في حجرة النسخ الملحقة بالمكتبة الديرية؛ ربما فقدنا الكثير من الكلاسيكيات، وكذلك الكتابات المسيحية، وتناقص التراث الثقافي الذي خلفته لنا العصور الوسطي، فهؤلاء الرهبان هم الذين حفظوا هذا التراث من الضياع، وصارت مكتبات الأديرة خزائن لحفظ الكتب والمخطوطات النادرة[٢].

وإذا كانت قد ظهرت موجة من الغضب وتمت محاربة دراسة الأدب والفلسفة اليونانية والعلوم والفلك من جانب بعض رجال الدين المسيحي الذين رأوا فيها خطرا على الدين والأخلاق المسيحية، وتعرضت كتبها للحرق والتدمير، ورجالها للاضطهاد والقتل[٣]؛ فإنها وجدت الملاذ الآمن في الأديرة البيزنطية، حيث واصل رجالها دراستهم هناك في هدوء، وشهدت هذة المجالات اهتمامًا كبيرًا أواخر العصر البيزنطي على يد العديد من المفكرين؛ أمثال ثيودور ميتوخيتس ومكسيموس بلادنوديس. إذ قام هؤلاء الباحثين بدور هام فى نسخ وشرح وترجمة أعمال

---

(1) LERNER, F., *Libraries Through The Ages*, p.34; Wilson, *Libraries of The Byzantine World*, p.65.

(2) PADOVER, *Byzantine Libraries*, p.311.

(3) STAIKOS, *The History of The Library*, pp.60-62.

الفلاسفة والشعراء والجغرافيين القدامي ، وتركوا بعضها فى المكتبات الديرية؛ مثل مكتبة دير خورا ، الذى وضع بها مكسيموس العديد من دراساته وترجماته للكتاب والشعراء اليونان والرومان[١].

فضلًا عن ذلك فقد لعبت المكتبات الديرية دورًا مهمًا في التكوين الثقافي والفكري للعديد من الشخصيات التى أقامت بالدير أو زارته؛ نظرًا إلى ما احتوت عليه من كتب ومخطوطات في شتى أنواع المعرفة نهل منها هؤلاء وساعدتهم فى كتابة مؤلفاتهم التي أضحت علامات مضيئة في تاريخ الحضارة البيزنطية ، فقد عاشت الأميرة أنا كومنين في دير كيشماريتموني ثلاثون عامًا وكتبت هناك كتاب الإلكسياد ، الذى تناول حياة وعصر أبيها الإمبراطور الكسيوس كومنين واستعانت بمكتبة الدير[٢]. كذلك كان هناك القديس القبرصى نيوفتوس Neophtos، وكان من أسرة فقيرة وغير متعلم ودخل الدير؛ حيث تلقى تعليمه الأول هناك وتعددت قراءاته واهتماماته البحثية فى الدير لتشمل فلسفة أرسطو ، والطب ، والشعر ، والنحو ، بالإضافة إلى اللاهوت ، وكتب أعمال عديدة هناك شملت تعليقات على أحداث عالمه المعاصر ، واستعان بمكتبة الدير في شرح وتأييد ارائه ، إلى جانب ما كان في حوزته من كتب كلاسيكية ودينية[٣].

أما الأميرة ثيودورا رولين التي عاشت فى دير القديس أندروس؛ فقد قامت بتأليف سيرة القديسين ثيودور Theodore وثيوفانيس Theophanes اللذين عرفا بالدفاع عن الصور والأيقونات وتم اضطهادهما بسبب ذلك ، وقد ضمت السيرة العديد من الإشارات والاقتباسات ، فقد استشهدت بالإلياذه والشعراء هوميروس

---

(1) Fryde, *Palaeologan Renaissance*, pp.228-246; STAIKOS, *The History of The Library*, p.427; SEVCENKO, THEODORE METOCHITES, pp.28/36-7.

(2) CAMERON, *The Byzantines*, p.137.

(3) CAMERON, *The Byzantines*, pp.138-139; CHARNIS, *The Monks as an element*, p.81.

وأيسخلوس وهسيسوديس وغيرهم ، إلى جانب الفلاسفة مثل أفلاطون ، الأمر الذى يدل على أن مكتبة ديرها قد احتوت على هذه المؤلفات[١].

وكان هناك راهب آخر يدعي أنطيوخوس Antiochus قد عاش بدير مار سابا فى القرن السابع الميلادي وكتب كتيبًا بعنوان : «القاموس الشامل للكتاب المقدس» كان له قيمة كبيرة بسبب ما احتوى عليه من بيانات ومعلومات ، وكذلك التوثيق المفصل لأحداث الكتاب المقدس[٢]. كذلك اعتمد بطريرك القسطنطينية جناديوس سكولاريوس Gennadios Scholarios على مكتبة دير بردورموس في كتابة أعماله أثناء انسحابه وإقامته بالدير ، نظرًا إلى ما اتسمت به هذه المكتبة من تنظيم وما احتوت عليه من مخطوطات وكتب مهمة[٣].

ووفرت أيضًا بعض هذه الأديرة ملاذا آمنا لبعض الشخصيات لكتابة مؤلفاتهم فى مكتباتها والذى اتخذت مذهبًا دينيًا مخالفًا للمذهب الرسمي للدولة ، ففي أثناء النزاع الأيقوني الذى ألقى بظلاله على الكتب؛ حيث شهدت موجة من الحرق والتدمير؛ إذ أحضرت للقصر الإمبراطوري ، وتم فحصها وحرق ما احتوت عليه من صور أو تمزيق هذه الصفحات ، وإخفاء الكتب في أماكن من الصعب الوصول إليها[٤] ، وفر يوحنا الدمشقي إلى دير مارسابا واتخذه ملجًا له ، وكتب هناك الكثير من أعماله عارض فيها سياسة الدولة الرسمية في ذلك الوقت[٥].

كذلك مثلت المكتبات الديرية مركز جذب ومزارًا للعديد من المفكرين والأدباء للبحث في مكتباتها التي احتوت علي العديد من الكتب والمؤلفات ، ففي القرن

---

(1) TALBOT, *Bluestocking Nuns*, p.611; Fryde, *Palaeologan Renaissance*, p.181.

(2) STAIKOS, *The History of The Library*, p.126.

(3) BAKIRTZIS, *Library Spaces in Byzantine*, p.44.

(4) STAIKOS, *The History of The Library*, p.126.

(5) STAIKOS, *The History of The Library*, p.126.

السادس الميلادي زار القديس يوحنا موسخوس John Moschos (٥٥٠-٦١٩م) مؤلف كتاب (المروج الروحانية) وهو أحد الكتب النسكية المهمة إذ يحتوي على مجموعة من القصص التهذيبية، مكتبة دير مارسابا، وأقام بها فترة من الوقت ينهل من معينها الثقافي، وكذلك كان ثيودور سليكون Theodore من الزوار المشهورين لمكتبة الدير في هذة الفترة[١]. وهناك أمثلة عديدة لمثل هذة الزيارات، الأمر الذى يوضح دور المكتبات الديرية كمركز إشعاعى وثقافى وحضارى، فتحت أبوابها أمام رجال الدين والمثقفين على طول الإمبراطورية للتزود بالمعرفة والثقافة والاعتماد على ما بها من كتب ومخطوطات مهمة، فضلًا عن دورها فى حفظ التراث الكلاسيكي بوجه خاص.

بالإضافة إلى ذلك كله يمكن القول بأن المكتبات الديرية قد قامت بدور مهم فى الحفاظ على الكتب وحمايتها من خطر الغزو والنهب التي تعرضت له المدن الإمبراطورية على فترات متعاقبة من تاريخها الطويل وذلك من خلال ما بذله رؤساء هذه الأديرة من دور في الحفاظ على مقتنيات مكتباتهم، ومثال ذلك عندما تعرض دير القديس خريستودولوس على جبل لاتروس للسلب والنهب بواسطة الأتراك سنة ١٠٧٩م، وحتى يؤمن القديس الكتب؛ قام بإرسال بعثة عسكرية إلى الجبل لأخذها، ثم قام بنقلها الى القسطنطينية حتى تكون تحت حماية البطريرك، وعندما أنشأ ديره الجديد في جزيرة باتموس، نجح في نقلها إلى مكتبة ديره الجديد[٢]؛ بل وبذل هؤلاء الرؤساء دورًا مهمًا في تدعيم المكتبة الديرية وتوفير الأموال للإنفاق على شراء الكتب والمخطوطات وصيانتها وإمداد المكتبة. ففي

---

(١) سعاد عبد الحميد: التنظيمات الديرية في بيزنطة، ٣٣٤؛ SABAS, pp.1311-1312; PADOVER, *Byzantine Libraries*, pp.314-315.

(2) CHRISTODOULOS, p.599; PADOVER, *Byzantine Libraries*, p.323, Wilson, *The Libraries of Byzantine World*, p.69.

خطاب أرسله مكسيموس بلانويديس للدمستق ورجل الدولة جورج موزوالون George Mouzalon يطلب منه أموالًا لإصلاح مكتبة دير خورا وجلب نسخ الكتب لها و بذل جهدًا كبيرًا في تجديد هذه المكتبة[٢].

علي هذا النحو يتضح لنا الدور المهم الذي قامت به المكتبات الديرية في الحفاظ على التراث الثقافي للحضارة البيزنطية.

قائمة المختصرات

- B: Byzantion
- BMFD: Byzantine Monastic
- BZ: Byzantinische Zeitschrift.

Foundation Documents.

- EEBS, Epeteris Etaireias Byzantinon Spoudon.
- GRBS, Greek,Roman and Byzantine Studies.
- JA: Journal Asiatique.
- L'CR, Libraries and The Cultural Record.
- ODB, Oxford Dictionary Of Byzantium.

---

(1) CONSTANTINIDES, *Higher Education*, pp.68-9.